



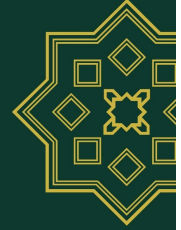
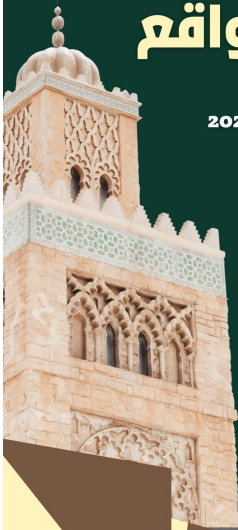
إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر



بحوث الملتقى الدولي الثامن

جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع

بتاريخ: 22 و21 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق ل 15 و16 نوفمبر 2022



تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ عبد الله كنون من خلال "تفسير سور المفصل من القرآن الكريم"

ط.د/ شهرة قتال، إشراف: د/ نصيرة دهينة

كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر1

ch.guettal@univ-alger.dz

n.dehina@univ-alger.dz



ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز جهود واحد من شخصيات الغرب الإسلامي في مجال التفسير وهو عبد الله كنون من خلال كتابه "تفسير سور المفصل من القرآن الكريم" الذي جاء استجابةً لواجب الوقت، المتمثل في ردّ الناس لدينهم، خاصة بعد ما عاشته هذه الشعوب بعد الفترة الاستعمارية واختلاطهم بالغرب وانهارهم بثقافتهم فتزعزت أساسات دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم.

لهذا جاء هذا التفسير مختلفا عما كان موجودا قبله من جهة ربطه بالواقع، ومحاولة إسقاط معاني آياته على بعض القضايا التي شغلت الناس، ورغم كونه تفسيرا لسُبع القرآن فقط إلا أنه تضمن عددا لا بأس به من نماذج التّزّيل على الواقع، وهذا ما شجع على اختيار هذا التّفسير في محاولةٍ لجمع هذه المواضع، وبيان كيف عالج المصنّف واقعه بتزّيل الآيات عليها، فجاءت هذه المداخلة لتحقيق هذا الغرض.

الكلمات المفتاحية: عبد الله كنون، تنزيل الآيات، التفسير، الواقع.

مقدمة

إنّ أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، ووجهت إليه الهمم، كتاب الله تعالى، من تمسك به هُدي، ومن اهتدى بنوره رشد، لهذا كان محل عنايةٍ من هذه الأمة منذ نزوله على محمد – صلى الله عليه وسلم- إلى وقتنا هذا، إلا أنّ هذه العناية اتخذت أشكالاً عدّة، فمنها ما يرجع إلى لفظه وأدائه، ومنها ما يرجع إلى أسلوبه وإعجازه، ومنها ما يرجع إلى تفسيره وشرحه، أو استنباط العلاقة بين الواقع وحكمه وهداياته، إذ لا بد للمفسّر حتى يبلغ دعوته إلى النّاس كافة حق التّبليغ أن يكتب لعصره الذي يعيش فيه ويربط آيات الوحي الذي هو أساس صلاح الأمة بقضايا الناس، ذلك أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وصلوحه هذا ينبغي أن يكون واقعا مُعاشا ملموسا، ولكل زمان رجاله، ومن هؤلاء الشيخ "عبد الله كنون" الذي ما فئ من خلال تفسيره بين الفينة والأخرى أن يربط الآيات الكريمة بالواقع، فكان من علماء الغرب الإسلامي الذين سلكوا طريقة التّزّيل لهذا تناولتُ تفسيره بهذا البحث الذي عنونته: تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ عبد الله كنون من خلال "تفسير سور المفصل من القرآن الكريم"

أولاً: أهمية الموضوع: تتلخص أهمية البحث في النقاط الآتية:

- دراسة جهود المفسرين وإيضاح منهجهم لبيان مدى تمسكهم بالأصل العظيم الذي سار عليه السلف من هذه الأمة.

- معرفة مناهج الأئمة في التفسير لها أهمية خاصة في تنمية المواهب وإثراء المادة العلمية لدى الباحث.

ثانياً: الإشكالية: تتلخص إشكالية هذا البحث في سؤال رئيسي:

ما هي معالم تنزيل النَّصِّ القرآني على واقع عبد الله كنون في مجال التفسير؟

تتفرع عنه مجموعة من التساؤلات:

من هو الشَّيخ عبد الله كنون؟ وكيف كانت طريقته في التفسير؟ وكيف برزت قضية

التَّزِيلِ الواقعي للقرآن في تفسيره؟

ثالثاً: الدراسات السَّابِقة: ومما كتب فيه:

- عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل، عدنان الخطيب -دمشق: مجمع

اللغة العربية، 1412 هـ: وهو مقال في مجلة آراء وأنباء.

- الدراسات الأدبية في المغرب: الأستاذ عبد الله كنون نموذجاً، أحمد الشايب، دار النشر:

جامعة الملك فهد العليا للترجمة-طنجة، ط1، تاريخ النشر: 1991: أصل هذا الكتاب رسالة جامعية.

- عبد الله كنون وموقعة في الفكر الإسلامي السياسي الحديث، عبد القادر الإدريسي، دار

النشر: دار الزهراء للإعلام العربي-القاهرة، ط1، تاريخ النشر: 1992.

رابعاً: منهج البحث: سلكت المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي بإذن الله، وفق الخطوات

الآتية:

1. قراءة التفسير قراءة متأنية مع استخراج الشواهد والأمثلة لجهوده، ثم تصنيفها حسب

طبيعة البحث.

2. التركيز على دراسة منهجه بصفة عامة بغض النظر عن مطابقة أقواله لأصول التفسير

وضوابطه وهل هي راجحة أو مرجوحة.

3. اتباع منهج الجمع والتوصيف مع شيء من التحليل عند ذكر الأمثلة لكل قضية من

قضايا التزليل على الواقع.

4. الاعتناء بالآيات من حيث عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها. واعتماد الخط العثماني

في تدوين الآيات.

5. إحالة كلام أهل العلم إلى كتبهم إن كانت موجودة أو إلى أوثق المصادر المعتمدة في ذلك.

6. وضع خاتمة أعرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

خامساً: خطة البحث: تتكون خطة البحث من ملخص ومقدمة، ومبحثين وخاتمة وفهارس

على النحو الآتي:

مقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، والإشكالية، ودراسات سابقة، ومنهج البحث، والخطة.

المبحث الأول: تناولت فيه التعريف بالشيخ عبد الله كنون وتفسيره، وذلك في مطلبين، الأول: في التعريف بالمصنّف، أما الثاني ففي التعريف بالمصنّف وهو كتاب التفسير محل البحث. المبحث الثاني: تناولت فيه تنزيل الآيات على الواقع في تفسير عبد الله كنون، وقد قسمته إلى مطلبين أيضاً الأول: في تنزيل الآيات على الواقع في مجال العقيدة، والثاني تنزيل الآيات على الواقع في مجالات وقضايا متنوعة.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ عبد الله كنون وتفسيره

كان عبد الله كنون رأس علماء المغرب في القرن الثالث عشر، مفتياً، محدثاً، لغوياً، قوالياً للحق، دؤوباً على نشر العلم والإرشاد والنهي عن البدع حتى أودى بسبب ذلك وسُجّن إبان الفترة الاستعمارية التي شهدتها منطقة المغرب، وفيما يلي ترجمة مختصرة لهذا الإمام وتعريف بتفسيره، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف بالشيخ عبد الله كنون

أولاً: مولده ونسبه: ولد الشيخ عبد الله كنون بمدينة فاس المغربية يوم السبت في الثلاثين من شعبان سنة 1326هـ الموافق لـ (سبتمبر) سنة 1908م، هو عبد الله بن عبد الصمد بن التهامي كنون الحسني، وكان بيت كنون من أشهر بيوتات العلم بفاس، التي يشد طلبه العلم الرجال إليها للاستفادة من علمائها في مختلف المجالات.

ثانياً: نشأته: نشأ عبد الله كنون في أسرة سنية محافظة، حفظ القرآن صغيراً بالكتاب وأتقن حفظ المتون، وقد قال وهو يحكي عن نفسه في سيرة ذاتية "كانت سني ست سنوات حين انتقلت مع والدي رحمه الله إلى طنجة، وكان ينوي هو وعمي العلامة المرحوم الشيخ محمد الهجرة إلى الشام، ولكن إعلان الحرب العظمى الأولى حال دون ذلك، وقد نشأت بطنجة حيث حفظت القرآن الكريم، وزاولت قراءة العلم على مشايخ عدة، وأكثرهم والدي الشيخ عبد الصمد. وكان مجال دراستي ينحصر في علوم العربية والفقه والحديث والتفسير، وأما الأدب فقد تعاطيته هواية"¹.

ثالثاً: نشاطه العلمي: تقلد رحمه الله عدة مناصب أهمها:

- التدريس في المعهد العالي ومديراً لمعهد الحسن للأبحاث بمدينة تطوان
 - عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
 - أميناً عاماً لرابطة العلماء في المغرب.
 - عضواً عاملاً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة 1963م.
- وبعد نحو عشر سنوات انتخب عضواً عاملاً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وكان عضواً شرفياً في مجمع اللغة العربية الأردني منذ تأسيسه عام 1977م وعضواً بالمجمع العلمي العراقي، إضافة إلى عضويته في المجمع الملكي لبحوث الحضارة. وقد ترأس صحيفة الميثاق -لسان حال رابطة علماء المغرب- حتى وفاته.

¹ من السيرة الذاتية التي كتبها عبد الله كنون بخط يده، نقلها: عدنان الخطيب، عبد الله كنون سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة ورد شهادات الحاقدين والدقيقة، ص. 15.

رابعاً: آثاره العلمية: له مؤلفات كثيرة¹ في مجال الأدب والتاريخ غلبت ما تركه في مجال التفسير أو الفقه من أهمها:

- أحاديث عن الأدب المغربي الحديث
 - أدب الفقهاء
 - الإسلام أهدى
 - إسلام رائد
 - أمراؤنا الشعراء
 - ترتيب أحاديث الشهاب لابن الحسن القلعي
 - التيسير في صناعة التفسير/ للإشبيلي (تحقيق)
 - جولات في الفكر الإسلامي
 - ذكريات مشاهير رجال المغرب
 - رسائل سعدية
 - شرح مقصورة المكودي (وهو عبد الرحمن بن علي ت807هـ) عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب/ محمد بن موسى الحازمي الهمداني (ت584هـ) (تحقيق وتعليق وفهرسة)
 - على درب الإسلام
 - فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين
 - القاضي عياض بين العلم والأدب
 - القدوة السامية للناشئة الإسلامية، لقمان الحكيم
 - محاذي الزقاقية (في التشريع الإسلامي بالمغرب)
 - مفاهيم إسلامية
 - ملتنى ابن منظور الإفريقي: دراسات الملتقى الثاني 1392هـ في اللغة والأدب والتاريخ (مع آخرين)
 - النبوغ المغربي في الأدب العربي
 - تفسير سور المفصل من القرآن الكريم (وهذا الكتاب محل البحث)
- خامساً: وفاته
- توفي رحمه الله في الخامس من ذي الحجة سنة 1409 هـ الموافق لـ 1989م
- المطلب الثاني: التعريف بتفسير الشيخ عبد الله كنون
- لما كان القرآن الكريم هو الموجه الأول للأمة الإسلامية نحو صلاحها ونهوضها، عمل الشيخ عبد الله كنون على تفسيره كغيره من العلماء الذين اعتنوا بتحقيق هذه الغاية، وفيما يأتي نظرة تعريفية بهذا التفسير:

¹ انظر: محمد رمضان، تكملة معجم المؤلفين، ص340.

أولاً: اسم هذا التفسير

جعل رحمه الله عنوان كتابه: "تفسير سور المفصل من القرآن الكريم"، صدر عن دار الثقافة، دار البيضاء، الطبعة الأولى 1401-1981.

وكما هو واضح من عنوان الكتاب "تفسير سور المفصل من القرآن الكريم" أنه ليس تفسيراً كاملاً للقرآن بل لسور المفصل منه، وهي على الراجح من الأقوال تبدأ من سورة الحجرات إلى الناس، وهو على ثلاثة أقسام: (طوال) من الحجرات إلى عبس، و(وسط) من عبس إلى الضحى، و(قصار) من الضحى إلى الناس، ومما قيل في سبب تسميته بالمفصل لكثرة الفصل فيه بين السور بالبسملة.

ثانياً: أهم مميزات هذا التفسير

من حيث الشكل: فقد جعل عبد الله كنون سورة الفاتحة في آخر التفسير بعد سورة الناس وهذا خلاف لما هو عليه ترتيب المصحف، وخلاف لما مشى عليه والترم به العلماء سواء المتقدمون منهم أو المتأخرون

أمّا من حيث المضمون: فقد جاء هذا التفسير مختصراً بعيداً عن التطويل والإطناب، وحتى لا يخرج عن الغاية التي من أجلها صُنف فإنه تجاوز فيه ذكر الأسانيد والمصطلحات العلمية المعقدة، والغوص في الخلافات المذهبية، حيث قال: "... وأدنى ما كنت أتصوره لتحقيق هذه الغاية تفسير في مثل حجم القرآن مرتين أو ثلاث على الأكثر سهل العبارة خالي من الاصطلاحات العلمية والأقوال المتعارضة، مركزاً على الأسس الثلاث التي قامت عليها دعوة الإسلام، وهي تصحيح عقيدة التوحيد بتطهيرها من الشوائب وتزكية النفوس بالأخلاق الفاضلة والقيم العليا وإعداد المسلمين لقيادة الإنسانية على ما فيه صلاح معاشها ومعادها..."¹ وهذا الذي يتناسب وهذا النوع من التفاسير الإصلاحية التربوية خاصة وأنه موجه لعامة الناس بمختلف مستوياتهم. وقد ذكر المصنف أنه أول تفسير مستقل بسور المفصل إذ لم يعرف تفسيراً اختص بها قبله.²

ثالثاً: أسلوب عبد الله كنون في تفسيره

ذكر المصنف الأسلوب المتبع في تفسيره، من ذلك:

- عدم صرف الآيات عن ظاهرها.
- اعتماده على المأثور من كلام السلف في بيان المعاني.
- الترجيح أحياناً عند تشعب الآراء.
- اعتماد قراءة نافع برواية ورش، مع الإشارة على غيرها عند الاختلاف.

رابعاً أهداف عبد الله كنون من تفسيره

ذكر في مقدمته أنّ تفسيره هذا تجربةٌ أو تطبيقٌ لفكرة راودته منذ بداية اشتغاله بأمر

¹ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص5.

² المصدر نفسه، ص8.

الدعوة والتبليغ، فأراد أن يضع تفسيراً مغايراً لما رآه في باقي التفسيرات التي تميزت إما بكبر حجمها فيصعب استيعابها من العامة، وإما باختصارها لدرجة انغلاق عباراتها مما يفوق مستوى القارئ العادي، فوقع اختياره على سور المفصّل.

كما أنّ تميّز سور المفصّل بيسرها وكذا كثرة تلاوتها من قبل الناس في الصلوات، كان سبباً من الأسباب التي جعلت المصنف يختارها ويبدأ تجربته بها كما صرح بذلك في مقدمته "فإذا لم تنجح التجربة في السُّع، فإنها لن تنجح في الكل"¹، وسببٌ آخر هو كون الأغراض التي تضمنتها سور المفصل هي مدار الدعوة الإسلامية في البدء وهي التي تهتم عموم المسلمين اليوم. وتحقيق هذه الأغراض أسى هدف يسعى الشيخ عبد الله كنون تحقيقه من خلال تفسيره هذا.

خامساً: مصادر هذا التفسير

صرّح المصنف في مقدم تفسيره بالمراجع التي اعتمد عليها فقال: "... وكان اعتمادنا في الغالب على تفسير ابن جزي، وابن كثير والجلالين مع الرجوع في بعض الأحيان إلى تفسير الطبري والقرطبي وابن عطية والفخر الرازي والثعالبي"². إلا أنّ المتعمّن في الكتاب يدرك مصادر أخرى من كتب السُّنة أو اللغة العربية وغيرها ممّا لم يصرح به المصنف؛ فمن أبرز كتب السنة التي رجع إليها سواء للاستدلال بالأحاديث والآثار الواردة بها، أو لترجيح معنى من المعاني:

- الصحيحين البخاري ومسلم

- سنن النسائي الصغرى

- سنن أبي داود

- سنن الترمذي

- سنن ابن ماجه ومما يلاحظ على منهجه: أنه يحتج بالأحاديث باختلاف درجاتها بين الصحة والحسن في الغالب، إلا أنه أورد الموضوع منها كما في حديث "إذا ذلت العرب ذل الإسلام"³ وليبيان بعض المعاني اللغوية والمفردات فقد رجع إلى بعض كتب اللغة والغريب كمفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني وغريب القرآن لابن عزيز وغيره كما أن القارئ للكتاب يجد أحياناً نصوصاً من التوراة والإنجيل يذكرها في سياقات معينة⁴

المبحث الثاني: تنزيل الآيات على الواقع في تفسير عبد الله كنون

الفترة التي عاش فيها عبد الله كنون كانت فترة حافلة بالأحداث والمتغيرات السياسية والاجتماعية، فقد شهد صراع الحربين العالميتين الأولى والثانية، واطلع على القضية الفلسطينية، وعاش الاستعمار وتأثيره السلبي على عقيدة أو على أخلاق المجتمعات الإسلامية،

¹ المصدر السابق، ص7.

² المصدر السابق، ص9.

³ سبق ذكره.

⁴ انظر: عبد الله الهنائي، تفسير سور المفصل للشيخ عبد الله كنون نظرة في المنهج وأسلوب التجديد دراسة استقرائية نقدية، ص13.

كل هذا انعكس على شخصيته وفكره فجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأدرج هموم عصره وقضايا مجتمعه في تفسيره كلما سنحت له الفرصة، وفيما يأتي نماذج على هذه القضايا التي أوردتها:

المطلب الأول: تنزيل الآيات على العقائد وبعض البدع المنتشرة

لما كان التوحيد أعظم وأول واجب على العباد، فقد ركز الشيخ عبد الله كنون في تفسيره على إصلاح عقيدة الفرد التي بصلاحتها يصلح المجتمع، كما دعا إلى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والمظاهر الجاهلية التي كانت منتشرة في مجتمعه خاصة أو في المجتمع الإسلامي عامة، وتفصيل ذلك كما يأتي:

أولاً: الدعوة إلى الالتزام بشرائع الله وعدم الابتداع في الدين

تأسف الشيخ كنون وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝۱۷ لَنْ نَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝۱۸ ﴾ [المجادلة: 16-17] من حال الناس اليوم لابتعادهم وصددهم عن دين الله بل ونسيبتهم إليه ما ليس فيه من المساوي والعيوب، الأمر الذي نفّر غير المسلمين من الدخول فيه بسبب هذه الادعاءات الباطلة المدخلة فيه، فقال: "وأكثر المسلمين اليوم على هذا الحال فإنهم خالفوا أوامر الله وابتدعوا في الدين ما ليس منه، فأعطوا بذلك فكرة سيئة للإسلام للأجانب كانت من أكبر العوامل في ازدراءهم له وانصرافهم عنه ومن ثم قال كثير من المصلحين إن الاسلام محجوب بالمسلمين"¹.

فاستحقوا بسبب ذلك عذاب مهين يذلهم الله به ويخزيهم يوم القيامة ولن تغني عنهم منه أموالهم ولا أولادهم ولن تنفعهم عند الله شيئاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا

بَنُونَ ۝۸۸ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝۸۹﴾ [الشعراء: 88-89]

ثانياً: خطورة التطاول والطعن في الصحابة رضوان الله عليهم

حُبُّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الطعن فيهم أو لعنهم، من مسائل العقيدة القطعية، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة، ونظراً لخطورة ذلك فإنه لم يفت الشيخ عبد الله كنون وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝۱۰ ﴾ [الحشر: 10] لم يفته التنبيه على هذه القضية التي ظهرت سواء من الرافضة أو من المسلمين الغافلين المتطاولين على صحابته رضوان الله عليهم، وأورد رحمه الله نقل ابن كثير استنباط الإمام مالك من هذه الآية أنّ الرافضي الذي يسبُّ الصحابة ليس له من مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ۝۱۰ ﴾، كما استدلل بما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمروا أن

¹ عبد الله كنون، تفسير مفصل سور القرآن الكريم، ص 134.

يستغفروا لهم فسبُّوهم¹، ثم قرأت ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية².

ثالثا: في النفاق وإفشاء أسرار المسلمين للكفار

من القضايا التي رأى المصنف كثرة وقوعها بين المسلمين في زمنه، قضية التودد إلى الكفار مع ما هم عليه من عداوة وإعراض عما جاءهم من الحق. فقال: "وكم يحدث مثل هذا في المسلمين اليوم فتجد المغفلين منهم يبلِّغون العدو أسراراً وحوادث يستفيد منها في زيادة الضغط عليهم وإضعاف معنوياتهم وهم لا يلقون لذلك بالا، ولا تتكلم عنمن يفعل ذلك منهم قصداً ويتخذة حِرْفَةً فإن هذا لاحظاً له في الإسلام وحكمه القتل ولو أُمن³، واستدل بالآية التي هو بصدد تفسيرها في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة:1]، يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوتهم، ونهى أن يتخذوا أولياء، وأصدقاء، وأحلاء، كما قال ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:51]، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا وَاللَّهُ نَفْسُكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:28] ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش، لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.⁴

رابعا: في موالاتة المسلمين الكفار

بعد بيان الشيخ عبد الله كنون غلط بعض المسلمين في المسارعة بإلقاء المودة للكفار والتزلف إليهم ولو على حساب أسرار الأمة بإفشاءها ولو بغير قصد، لم يكتف بهذا وذهب إلى بيان معنى النبي عن الموالاتة للكفار ومن هم المعنيون بهذا النبي، وذلك لما فسّر قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة:8]، بين فيه أنّ النبي متعلقٌ بالذين يحاربون المسلمين من أجل دينهم، ويعملون على إخراجكم من أوطانكم بالظلم والإرهاق ومصادرة الحريات العامة التي يتمتع بها الأفراد والأمم من كل جنس وقبيل، وكذلك الذين أعانوا الظالمين وكانوا حلفاء لهم والمغتصبين ممن يغضون الطرف عنهم مع مقدرتهم على كفهم عن العدوان فهؤلاء هم الذين

¹ رواه مسلم في صحيحه، رقم (3022)، كتاب التفسير، 2317/4، من طريق عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: قالت لي عائشة: يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فسبُّوهم!.

² انظر: عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص144.

³ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص153.

⁴ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 115/8، وعبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص153-154.

أمرنا الله بمقاطعتهم وعدم موالاتهم وترك نصحتهم أو انتصاحتهم، ثم تأسف رحمه الله لسلك المسلمين اليوم المخالف لأمر الله القطعي لهذا قذف في قلوبهم الرعب فحسروا قضايا كثيرة في هذا الزمن¹ أهمها قضية فلسطين وسيأتي الكلام عليها.

خامسا: في التحذير من السحر والشعوذة

ومن أفعال الجاهلية التي تأسف المصنّف لاستمرار الجهلة من الناس عليها إلى يومنا هذا السحر والشعوذة، حيث قال: "وهذا الأمر الذي نعاه القرآن الكريم على أهل الجاهلية لا يزال أثره في جهلة المسلمين مع الأسف فإن كثيرا منهم يعوذون بالسحرة وبأماكن في الخلاء والبحر ويلقون عليهم من التمانم ما يظنون أنه يكون حائلا بينهم وبين أذى الجن، وبعضهم يسي ذلك صلحا ويلتزم فيه شروطا إن هو خالفها انتقض ذلك الصلح بزعمه واضطر إلى تجديده وإلا حاق به المكروه"². وهذا عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادَهُمْ رَهَقًا﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: 6-7].

فمن يُقدم على مثل هذا الفعل ما عرف أنه ينقض بذلك عرى الإسلام ويرجع في حافة الجاهلية الأولى فلا حول ولا قوة إلا بالله³، قال القرطبي: "ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر"⁴.

سادسا: في ضرورة تخليص المساجد من مظاهر الشرك

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: 18-19] استنكر رحمه الله ما يُفعل في بعض المساجد من بناء القباب على الأموات ومن إقامة حفلات اللهو الذي لا يليق ببيوت الله، وبأن الآية وإن كانت خطاباً للمشركين فهي تتوجه إلى المسلمين بطلب إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وتزيه المساجد عن كل ما نُبي عنه مما يشعر بتعظيم غير الله والانتهاك لحرمة الدين⁵، فالعبادة هي حق الله عزوجل، ليس لغيره فيها حق، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما.

سابعا: تحقيق عقيدة الإيمان باليوم الآخر

ها هو المصنّف مرة أخرى ينزل آيات من سورة المطففين وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٢﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ بِيَوْمِ الَّذِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٧﴾﴾ ينزلها على حال كثير من عصاة المسلمين اليوم الذين يظهر من إصرارهم على المخالفات وتعددهم فيها أنهم لا يومنون ببعث ولا حساب، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجازاة في تناول المباح، والأثيم في أقواله إن حدّث كذب وإن وعد أخلف وإن

¹ انظر: عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص 158-159.

² المصدر نفسه، ص 264.

³ انظر: المصدر نفسه، ص 263-264.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 10/19.

⁵ انظر: عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص 267-268.

خاصم فجر¹.

ولما كان الإيمان بالبعث يقتضي الاستعداد له باستكثار الخير والكف عن المعاصي، إذ في هذا اليوم تبرز السرائر، وتُنشر أعمال العباد، فقد شبّه الشيخ عبد الله كنون استخفاف بعضهم بأوامر الدين فأنكرها، بقول الكفار أساطير الأولين².

ثامنا: في زيارة القبور للافتخار بمن فيها من الآباء والأجداد

من الأعمال الجاهلية التي تكلم عنها الشيخ عبد الله كنون والتي كان أثرها ظاهرا في الأوساط الإسلامية كنون قضية التفاخر بمن مات وقُبر من الآباء والأجداد، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 1-2]، فبين أنّ زيارة المقابر كنايةً عن الموت، كما قيل في معناها الإسراف في التكاثر حتى جئتم القبور تفخرون بمن فيها من الآباء والأجداد، ولعله استشف هذا المعنى مما رُوي في سبب نزول الآية، من أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالوا إن إحداهما فيكم مثل فلان ابن فلان وفلان، وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور، ومثل فلان، وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر³ ثم استنكر هذا الفعل فقال: "وهو باطل من عمل الجاهلية ما يزال أثره ظاهرا في بعض الأوساط الإسلامية"⁴.

المطلب الثاني: تنزيل الآيات على الواقع في قضايا مختلفة

كما ربط الشيخ عبد الله كنون كثيرا من الآيات على مظاهر ووقائع متعلقة بالعقيدة، فإنّه أيضا ينزل بعضها الآخر على ما هو مُعاش من قضايا في مختلف المجالات، أوردتها تحت هذا المطلب وتفصيلها كالآتي:

أولا: التحذير من عصيان أوامر الله عموما

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّن مَّا نَسُوا أَن يَسْأَلُوا فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَن ذُرِّيَّتَهُمْ فِي جَحِيمٍ ۚ وَإِذْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَوَلَّىٰٓ بِرُكْبِهِ ۖ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ فَأَخَذْتُهُ ۖ وَجُودَهُ ۖ فَتَبَدَّنْهُمْ فِي سَعِيرٍ ۖ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٩﴾ مَا تَدْرَأُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٠﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤١﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٢﴾ فَمَا أَصْبَرُوا مِن قِيَامِهِ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٣﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ ۖ إِذْ قَبِلُوا إِلَهُهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات: 38-46]

نبّه الشيخ كنون إلى أن المراد بسياق هذه القصص-قصص الأنبياء مع قومهم-والإشارة إليها على سبيل الاختصار هو التذكير بما جرى لأهلها من العذاب والهلاك، جزاء كفرهم وعنادهم ومخالفتهم عن أمر ربهم وتكذيبهم لرسولهم، فلا يأمن من فعل فعلهم وجد وعاند

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 346/8.

² انظر: عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص335-336.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 451/8.

⁴ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص402.

وعصى، أن يحلَّ به ما حلَّ بهم، وأن يهلكه الله كما أهلكهم، لأنه ليس بخير منهم ولا عنده ما يعصمه من العذاب كما قال تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾¹ أم يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ [القمر:43-44].

ثم نزل رحمه الله معاني هذه الآيات على حال المسلمين اليوم فقال: "والمسلمون اليوم غارقون في بحر المعاصي ولذلك ضربهم الله بعصى الذلِّ فلا يرفعها عنهم حتى يفيؤوا إلى أمر ربهم، والله الأمر من قبل ومن بعد"¹.

ثانيا: ضرورة الرجوع إلى كتاب الله تدبرا وعملا

كثيرا ما نبه المصنف رحمه الله في غير ما موضع على ضرورة الرجوع إلى كتاب الله ليس تلاوة باللسان فقط بل تدبرا وعملا، وذلك لما لاحظته على الأمة الإسلامية من هجره واتخاذهم له وراءها ظهريا، فعندما جاء إلى تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾² [الحشر:21]، قارن متعجبا بين تلقي الجبل لهذا القرآن وتلقي الانسان له، فإذا كان الجبل وهو جماد مستعداً للتأثر بدعوة الكتاب العزيز فكيف بالنفوس البشرية والضمائر الإنسانية ؟ اللهم إلا أن تكون محكوما عليها بالشقاء، والعياذ بالله، فتصبح أفسى من الحجر، فالواجب التفكير في آيات الله والاعتبار بما تضمنته من الأمثال والحكم، والعمل بأوامرها، والوقوف عند حدوده وزواجره²، وفي موضع آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾³ [الجمعة:5]، يشبه صنيع اليهود هذا بصنيع من حمّل القرآن ولم يعمل بما فيه حيث قال: "وفي هذا تنبيه للمسلمين على أنَّ المقصود من حمل القرآن هو العمل به وامثال أوامره واجتناب نواهيه وإلا انطبق عليهم مثل اليهود والعياذ بالله فإن كل آية نزلت في الكفار تجر ذيلها على عصاة هذه الأمة"³.

ثالثا: من مظاهر تعذيب المستعمر الاسباني لمن ثبت ولم يرتد

نقل المصنّف رحمه الله مشهدا من مشاهد التعذيب التي عرفتها الفترة الاستعمارية على دول المغرب الإسلامي، خاصة منطقة المغرب الأقصى التي تعرض قسم منها للاحتلال الفرنسي بحجة الحماية، والجزء الآخر تحت السيطرة الإسبانية، وذلك عند استحضاره لقصة أصحاب الأخدود وما فعله أولئك الكفار بالمؤمنين بعد أن أعجزهم صرفهم عن دينهم فجعلوا لهم حفيرا في الأرض وأججوا فيه نارا وقدفوهم فيها، قال الله تعالى: ﴿فَقَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿١٠﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿١١﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿١٢﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿١٣﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٤﴾ [البروج:4-8]، إذ الغاية من هذه القصة هو أخذ العبرة بما حصل لمؤمنهم مع ثباتهم على الإيمان، لذلك قال عبد الله كنون: "وإلا فإن مثل هذا الحادث قد تكرر وقوعه عبر العصور. وما

¹ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص43.

² انظر: المصدر السابق، ص148.

³ المصدر نفسه، ص174.

فظائع ديوان التفتيش في اسبانيا الذي كان يحرق المسلمين الممتنعين من الردة ببيعية مناً¹.

رابعا: قضية التَّمييز العنصري المنافية لما جاء به الإسلام

ربط المصنف رحمه الله تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]، بالواقع المعاصر إذ يقول: "وهذه الآية قد سبقت كل الفلسفات وأزرت بكل الأيديولوجيات في تأصيلها لهذه القاعدة العظيمة قاعدة المساواة بين الناس من كل جنس ولون، ورفعت الإسلام فوق كل الأديان والمذاهب إذ جعلته دين الإنسانية جميعها لا فرق بين أبيضها وأسودها وذكرورها وإنائها، وقد جاء الحديث الشريف مؤكدا لمعناها ومؤسسا لمبناها فقال ﷺ: (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلا بتقوى الله)². وعمل المسلمون في حاضرهم وماضيهم على هذا المبدأ فلم يعرفوا قط حالة من حالات التَّمييز العنصري الذي تتخبط فيه إلى الآن شعوب ودول من بلاد الحضارة العصرية، ونسبها حضارة من باب التجوز وإلا فإن المجتمع الذي يُبنى على التَّمييز بين أفراده مجتمع في حاجة شديدة إلى تلقي دروس الحضارة الحقيقية من نبعها الصافي وهو الإسلام"³.

خامسا: تفضُّن الغرب إلى المصلحة في تشريع الطلاق وسنه قانونا لديهم

أورد المصنّف في تفسيره هذا جملة من الشُّبه التي يقذف بها الغرب على الإسلام والمسلمين قصد تشتيتهم وتشكيكهم في دينهم ومحاولة استبدال ما عندهم من شريعة إلهية بما هو أدنى من التشريعات والقوانين الوضعية، ومن هذه الطعون قولهم: إن ما عقده الله فوق سماواته لا ينقضه الخلق في الأرض، يعنون الرِّوَّاج والطلاق، لكن قولهم هذا سرعان ما خفت وسكت عندما أدركوا ما غاب عنهم من مصالح في هذا التشريع الربّاني، وقد نزل الشيخ عبد الله كنون تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:1] على ما هو واقع عند الغرب بخصوص قضية الطلاق، فقال: "فها هي ذي الأمم الأوروبية والأمريكية قد عرفت وجه المصلحة في هذا التشريع الضَّروري وأقره أكثرها فصار عندهم قانونا معمولاً به، بل إنَّ بعضهم أسرف فيه فصار إلى ما كان عليه قبل الإسلام من فوضى والتَّسخير للمصلحة الشَّخصية بينما هو عند المسلمين مقيدٌ بقيود ولا يجوز إلا في الضَّرورة القصوى حيث يكون

¹ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص346.

² أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم 2700) عن جابر بن عبد الله: يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فبئله شاهد الغائب. وقال: إسناده صحيح.

³ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص20.

استمرار الزوجية أمرا لا يطلق¹

سادسا: دحض شبهة انتشار الإسلام بالسيف وأنه دين قتال

حاول عبد الله كنون عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِمَنْ آمَنَ﴾ [التحریم: 9]، الرّد على من يتهم الشريعة الإسلامية بكونها شريعة قتال لم تنتشر إلا بالسيف والقوة، وتفنيده لهذا الكلام ببيان المعنى الحقيقي للآية الذي غاب عن من يتكلم بهذه التهمة، من أنّ القتال إنما شرّعه الله في حال الاعتداء على المسلمين ولم يتركه مطلقا بل قيده بضوابط وشروط، قال ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم أن ظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال؛ فإن النبي ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يظهر الإسلام بالعلم والبيان والآيات والبراهين، فأمنت به المهاجرون والأنصار طوعا واختيارا بغير سيف لما بان لهم من الآيات البيّنات والبراهين والمعجزات، ثم أظهره بالسيف..."². وبرهن المصنف في الأخير على كذب هذا الادعاء بما هو كائن؛ إذ لو كان المسلمون أهل قتال وبغي لكان الوضع خلاف ما هو واقع في الحقيقة من تسلط المسيحيين صناع الحروب والقتل على المسلمين، لكنهم يرمون المسلمين بما هو منه براء³.

سابعا: في القضية الفلسطينية

من القضايا التي شغلت الأمة الإسلامية ومازالت ليومنا هذا القضية الفلسطينية التي لم يغفل عن ذكرها المصنف رحمه الله عندما تطرق لتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: 9]، حيث بيّن نبي الله تعالى المسلمين عن موالات الكفار المحاربين المغتصبين للحريات العامة، ثم صرح بأن خسارة الأمة الإسلامية لفلسطين إنما هو نتيجة لمخالفة الناس أمر ربهم في عدم موالات المشركين، كما خسروا قضايا أخرى⁴.

ثامنا: في مزاعم تحرير المرأة

كانت ومازالت المرأة من أهم القضايا التي يعتمد عليها بعض الحاقدين لضرب الإسلام والمسلمين، وذلك بتشكيكها مرّة في مكانتها ومرّة أخرى في حقوقها التي منحها إياها الإسلام... وهكذا. والشيخ عبد الله كنون من خلال تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسَلُّوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا عَلَيْكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مُهَاجِرَاتٍ

¹ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص 192.

² ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 1/239.

³ انظر: عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص 207.

⁴ انظر: المصدر نفسه، ص 158-159.

فَأَمْتَحِنُوهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْبَائِسِينَ¹ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ² [الممتحنة:10] عالج هذه القضية حين قال: "واعلم أن هذه الآية قد أعطت للمرأة من العناية ما لم يعطها إياه أي قانون في الأرض"، وذلك من جهة أن في عدم ردِّ الممتحنة إلى الكفار - رغم أنَّ من شروط الحديبية ردّها - بخلاف الرجل، فيه مراعاةً لضعفها وعدم احتمالها للعذاب فهذا رحمة بهن وشفاقٌ عليهن من الفتنة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد حرّم نكاحها على الكفار مطلقاً لما في ذلك من السيطرة عليها فإن الرجال قوامون على النساء ولا يؤمن عليهما مع هذا القيام من تحكّم الزوج الكافر في عقيدتها والضغط على شعورها وذلك منافٍ للحرية الحقيقية التي ينبغي للمرأة تطلُّها.

كما أنّ في إباحة نكاح المسلم المرأة الكتابية فهذا أيضاً فيه تكريم للمرأة من جهة أنّه مبني أيضاً على احترام المسلم لدينها لأنّه مؤمن بموسى وعيسى عليهما السلام. وختم المصنّف بقوله: "فليعرف هذا من يتبجح بحرية المرأة في القوانين الوضعية وليقدر موقف الإسلام النبيل من المرأة مسلمةً كانت أو غير مسلمة حق قدره"¹.

تاسعا: مفهوم حرية المرأة الصّحيح في الإسلام

حاول الشّيخ عبد الله كنون إيصال المعنى الحقيقي الشّرعي لحرية المرأة لما رآه من اختلال هذا المعنى عند بعض المستهترين - على حد تعبيره - وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ²﴾ [الممتحنة:16] حيث بيّن أنها نزلت في مبايعة النساء بمكة بعد الفتح، وكيف أنّ النبي ﷺ أخذ عليهن العهد على أن لا يفعلن شيئا مما ذكر، ثم أورد ما جاء في قصة المرأة التي جاءت بتابع النبي ﷺ فلمّا سمعت قول الله تعالى {ولا يزني} قالت: يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة!

فقال ﷺ: لا والله، ما تزني الحرة! بعدها قال المصنف: "وهكذا كان نساء العرب في الصدر الأول يفهمن الحرية لا كما يحاول أن يفهمها اليوم بعض المستهترين"².

عاشرا: في سعي الدول الغربية إضعاف المسلمين

بيّن الشيخ عبد الله كنون أن مراد الكفار في كل زمان ومكان هو القضاء على دين الإسلام وتعفيّة أثره ومحوه من الوجود، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفَرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:8]، فكما فعل كفار قريش في محاربتهم للنبي

¹ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص 160.

² عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص 162.

صلى الله عليه وسلم وصديهم الناس عن الإيمان به، فعل الصليبيون في حربهم للمسلمين مدة قرنين، وتفعل الدول الغربية اليوم قال المصنف: "وكما تفعل الدول الغربية اليوم في إصفاها على المسلمين ومقاومة كل حركة تقدمية تظهر في بلدٍ من بلاد الإسلام خوفاً من قوته وانتشاره وظهور حقيقته لشعوبهم الذين لا يزال الرؤساء الروحيون يصرفونهم بالكذب عنه، والكتّاب والباحثون يصورونه لهم في أقبح صورة ويخفون محاسنه عنهم، ولكن الله عز وجل وعد بأنه ينصر هذا الدين ويرد كيد أعدائه في نحورهم ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ انتهى¹.

حادي عشر: مهمة نشر الدعوة تشمل المغاربة وليست خاصةً بالعرب فقط

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة:3] بين الشيخ عبد الله كنون المعنى: أي وآخرين من العرب الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ بعدُ، وسيلحقون والمراد التابعون، وذكر أن هذا المعنى الكتلبي الصريح للأمة العربية سابقها وللاحقها بالقيام بأداء الرسالة وتبليغ الدعوة إلى العالم قاصبه ودانيه وأنه هذا هو الأصل وإلا فإنه ما قلَّ انتشار الإسلام إلا لَمَّا قلت همم العرب وفتّرت، واستشهد بحديث (إذا دلت العرب ذل الإسلام)².

والآيات الدالة على عدم اختصاص بعثته صلى الله عليه وسلم بالعرب فقط كثيرة ذكر منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:28]؛ كما استشهد بما جاء في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه، إذ صار بعد استعباده من العرب بل من خاصة العرب بدليل، وعليه خلص الشيخ عبد الله كنون إلى نتيجة أن كل من دان بالإسلام وتكلم العربية فهو عربي داخل في هذه الآية، وبناء عليها أنزل هذا المعنى على الشعوب المستعربة كالمغاربة وغيرهم فقال: "وعليه فإن الآية تصدق بالشعوب التي أسلمت وتعربت وقامت بدورٍ عظيمٍ في نشر الإسلام ورفع رايته كالمصريين والمغاربة وسواهم، وهي منقبة عظمى لهم"³. وهذا منه رحمه الله تأكيدٌ على أن نشر الدعوة الإسلامية مهمة كل من دخل في الإسلام، خاصةً إن تكلم وفقه لغة القرآن التي بها أنزل.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث أسرد أهم النتائج المتوصل إليها مع بعض التوصيات في محاولةٍ للإجابة على الإشكالية المطروحة في هذا البحث، وبيانها كالاتي:

¹ المصدر السابق، ص 167.

² أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم 163، قال حديث موضوع. وفي استشهاده عبد الله كنون به في هذا المقام نظر فهو يناه في ما يريد بيانه من عدم اختصاص العرب بالرسالة لهذا اضطر بعده إلى إيراد آيات أخرى تؤكد فكرته، وقد علق الشيخ الألباني على هذا الحديث فقال: "ولولا أن في معناه ما يدل على بطلانه لاقتصرنا على تضعيفه، ذلك لأن الإسلام لا يرتبط عزه بالعرب فقط بل قد يعزه الله بغيرهم من المؤمنين كما وقع ذلك زمن الدولة العثمانية... فثبت أن الإسلام يعز ويندل بعز أهله وذله سواء كانوا عربا أو عجماء"، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، 1/302-303.

³ عبد الله كنون، تفسير سور مفصل القرآن الكريم، ص 173.

أولاً: النَّتَاج

1. رغم كَوْن التفسير مُقتصرًا على سور المفصل فقط إلا أنَّ معالم التَّنزيل القرآني على واقع المفسِّر واضحة، فقد أمكنني جمع تسعة وعشرين موضعا مع تركي لموضعين على الأقل لم أذكرها في البحث خشية التَّطويل.
2. مُواكبة عبد الله كنون لقضايا عصره وقدرته على الربط بين الجانب العلمي في التفسير والجانب العملي التطبيقي المعاش.
3. جهد الشيخ عبد الله كنون واضح في الدعوة الإسلامية من خلال محاولته تبليغ الرسالة بأسلوب جديد يتميز بسهولة العبارة والإيجاز والأهم أنَّه يلامس واقع الناس وانشغالاتهم.

ثانياً: التوصيات

1. هذا التفسير فيه نماذج تطبيقية أخرى -كما ذكرتُ سابقا- لم أذكرها خشية التَّطويل، وعليه يمكن البحث عنها أو التفصيل أكثر فيما تم ذكره.
2. التَّنزيل القرآني على الواقع نوعان: تصريحي وهذا الذي تركزَ عليه البحث، وتلميحي لم أتطرق إليه لكنه موجود ويمكن أن يُخصَّصَ ببحثٍ مستقل.

مصادر ومراجع

1. إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار النشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، تاريخ النشر: 1419 هـ
2. تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن -عبد العزيز بن إبراهيم -حمدان بن محمد، دار العاصمة-السعودية، ط2، تاريخ النشر: 1419هـ - 1999م
3. عبد الله كنون، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم"، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1401-1981.
4. عبد الله الهنائي، تفسير سور المفصل للشيخ عبد الله كنون نظرة في المنهج وأسلوب التجديد دراسة استقرائية نقدية.
5. عدنان الخطيب، عبد الله كنون سبعون عاما من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة ورد شهادات الحاقدين والدققة، -دمشق: مجمع اللغة العربية، تاريخ النشر: 1412 هـ
6. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار النشر: دار الكتب المصرية -القاهرة، ط2، تاريخ النشر: 1384 هـ - 1964م
7. محمد خير رمضان يوسف، تكملة مُعجم المؤلفين، وفيات (1397 - 1415هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ - 1997م
8. محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ):
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412 هـ - 1992 م
9. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 - 261 هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ - 1955م.